انْقِضَاءُ عَصْرِ الرُّسُلِ المُعْجِزِيّ

غالبًا ما نُطْلِق تسمية "معجزات" على أحداثٍ مُعيّنة تحصل معنا، مثلًا حين يجد والدان نفسَيْهِما عاجِزَيْن عن دفع أقساط ابنتهما المدرسيّة، وبعد أيّامٍ من الدُّعاء إلى الله جلّ جلاله، يَرِدُهما اتّصالٌ من مدير المدرسة لِيُعلِمَهُما بأنَّ أحدًا قد قام بدفع المبلغ المُسْتَحَقّ عليهما! أو حين تشعر الأم بأنّ طفلها، ذا الخمس سنوات، هو في خطر مُحْدِق، فتدخل غرفته لتجده على وشك القفز من النّافذة فتهرع لإنقاذه، أو حين يقوم شابٌّ بالاتّصال بصديقه للاطمئنان عليه، فيكتشف أنّ اتّصاله هذا قد جاء في الوقت الّذي كان يفكّر فيه صديقه في الانتحار. إلاّ أنّ هذه الأحداث الّتي نظنّها معجزات ليست بالحقيقة كذلك، بحسب توصيف الوحي المقدّس للمعجزة. فهي ليست أعمالًا خارقة للطّبيعة (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 2 : 22)، والتّسمية الأصحّ لها هي *"أعمال العناية الإلـهّية"* تلك الأعمال الّتي تُظهر عملَ الله سبحانه في الحياة اليوميّة لجماعة الإيمان، والّتي غالبًا ما تأتي كاستجابةٍ لأدعيتهم.

تَعْرِيفُ الوَحْيِ الشَّرِيف للمُعْجِزة:

إنّ المعجزة هي حادثة في الطّبيعة، غير عاديّة في ذاتها ولا يمكن تفسيرها على إنّها قوّة طبيعيّة، يَعْمَلُها الله عزّ وجلّ عن طريق وَاسِطة بَشريّة. والمعجزة مُصمَّمة دائمًا للمُصَادَقَة على حقيقة تلك الأداة البشريّة الّتي اختارها الله جلّ جلاله ليُعلِن عن وحيٍ مُحدَّد لأولئك الّذين يشهدون هذه المعجزة، ولِضَمَانِ اقتناع الّذين يشاهدونها بأنّه سبحانه قد عَمِلَها بقصد أن يشهد بأنّ ذلك المعلّم أو القائد الدّينيّ هو مُفَوَّضٌ مُباشرةً من الله.

ويُسَمّي الوحي الشّريف المعجزات بالآيات والعجائب (كتاب الخروج التّوراتي 3:7 ؛ كتاب التّثنية التّوراتي 22:6 ؛ 11:34 ؛ كتاب نحميا التّوراتي 10:9 ؛ كتاب المزامير التّوراتي (الزّبور) 9:135 ؛ كتاب إرميا التوراتي 21:32 ؛ نبوّة دانيآل التوراتيّة 27:6 ؛ بشارة متّى الإنجيليّة 24:24 ؛ بشارة مرقس الإنجيليّة 22:13 ؛ بشارة يوحنّا الإنجيليّة 48:4 ؛ كتاب أعمال الرّسل الإنجيلي 43:2 ؛ الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل رومية 19:15 ؛ الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 12:12 ؛ الرّسالة الإنجيليّة إلى العبرانيّين 4:2).
وتشمل هذه المعجزات قِوًى خارقة للطّبيعة وخارقة لِلْقِوَى البَشَرِيَّة ومُلازِمَة بالتّحديد لِرُسُل الله، وهي ليست مجرّد أحداث غريبة أو مُصادفات أو أحداث مثيرة أو شواذّ طبيعيّة. فالمعجزات، بحسب تعريف الوحي الطّاهر لها، تقع ضمن ما هو خارقٌ للطّبيعة، ولا يمكننا تصنيف الظّواهر الغريبة الّتي ليس لها تفسير آخر على أنّها معجزات.

لقد اسْتَحْوَذَتِ الأشياء الخارقة للطّبيعة على عقل الكثيرين في أيّامنا هذه، للدّرجة الّتي جعلت النّاس، من كافّة أقطار العالم، على استعداد أن يفسّروا أيّة ظاهرة نابية أو عَرَضيَّة على أنّها عجائب خارقة للطّبيعة. وقد تزايد مُؤخَّرًا ما نسمعه عن الأحداث الغريبة حول العالم والّتي شاع إساءة تفسيرها على أنّها معجزات: فمثلاً هناك من يَزْعَمُون ظهور وجه عيسى المسيح في صحارى السَّعوديّة أو على خزّانٍ لتخزين الزّيت، وآخرون يدّعون أنّهم يَرَوْنَ وجهه على حبّة فستق أو حتّى على نوعٍ معَيّنٍ من

المخبوزات! يقع عشرات بل مئات الآلاف ضحيّة هذه الادّعاءات الكاذبة الّتي يُذاع عنها أنّها معجزات، ويتشوّقون للذّهاب ومشاهدة هذه "المعجزات"!

ففي سنة 1987 ، لاحظت إحدى السيّدات في ولاية تينيسي الأميركيّة أنّه عندما يضيء جيرانها الضّوء، فإنّ صورة وَجْهٍ تَظْهَرُ في الضّوء المُنعَكِس من الثلّاجة عندها، واعتقدت أنّ ذلك كان وجه عيسى المسيح! مع أنّ العديد من الّذين رَأَوْا ما كان، قالوا إنّ الصّورة أكثر شَبَهًا بأحد المُغَنّينَ المشهورين، غير أنّها وزوجها كانا شَديدَي الاقتناع بأنّها كانت معجزة حقيقيّة لدرجة أنّه عندما عبَّر القِسّ عن تشكّكه فيما يدّعيانه، تركا جماعة الإيمان الّتي كانا ينتميان لها.

مع الأسف، مثل هذا التشكّك أصبح سِلْعةً نادرة في أيّامنا هذه، حيث بلغ تعطّش النّاس للظّواهر الغريبة والمدُهشة مستوًى لم يَسْبِق له نظير. فالتَشَوُّقُ لمشاهدة المعجزات، جعل الكثيرين على استعدادٍ أن يصدّقوا أنّ أيّ شيء غير عاديّ هو معجزة سماويّة حقيقيّة. وهذا ما يشكّل خطرًا جسيمًا على جماعة الإيمان اليوم، لأنّ الوحي الشّريف يخبرنا بأنّ المعجزات الزّائفة التي تُصَدَّقُ بشدّة – سَتُصْبِحُ أداةً أساسيّة للشّيطان في هذه الحقْبَة الأخيرة من الزّمن، كما سبق وأنبأ عيسى المسيح قائلًا: "لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ (جمع مسيح) كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا .هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ."(بشارة متّى الإنجيليّة 24:24 – 25) هذه الأقوال السماويّة الخالدة لعيسى المسيح، تُفْسِحُ المجال لبعض التشكّكات الصِّحيّة من قِبَل جماعة الإيمان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ جماعة الإيمان الكِتَابِيَّة ليست بالطّبيعة مُشَكِّكَة ولا تنتمي لتلك الفئة من النّاس الّتي تفترض أنّ المعجزات لا يمكن أن تحدث، بل هي تؤمن بالمعجزات، وتؤمن أنّ كلّ معجزة سُجِّلت في الوحي المُبارك قد حَدَثَتْ حرفيًّا، تمامًا كما وصفها الوحي الكريم. فهم يؤمنون مثلًا أنّ كليم الله موسى والشّعب العبرانيّ قد ساروا فعلًا على اليابسة في البحر الأحمر الّذي انشقّ (كتاب الخروج التّوراتي 14 : 21 – 22، 29) ، ويؤمنون أيضاً أنّ النبيّ إيليّا قد أقام ابن الأرملة من الموت (كتاب الملوك الأوّل التّوراتي 17 : 21 - 23) وأنّ النّار الّتي طلب إيليّا أن تنزل من السّماء كانت نارًا سماويّة فعلاً (كتاب الملوك الثّاني التّوراتي 10:1 ، 12)، وباقتناع تامّ، يؤمنون أنّ النبيّ أليشع قد جعل رأس الفأس الحديديّة تطفو على الماء (كتاب الملوك الثّاني التّوراتي 6:6)، وأنّ كلّ الأشفية والعجائب والمعجزات الّتي نُسِبت لعيسى المسيح في البشائر الإنجيليّة الأربعة، قد حدثت بالضّبط كما سجّلها البَشِيرُون، ويؤمنون بأنّ الرّسل قد أجْرَوا كلّ المعجزات الّتي أشار إليها الوحي المقدّس حرفيًّا.

كذلك هم يؤمنون أنّ الله عزّ وجلّ يَعْمَلُ دائمًا على مستوًى خارقٍ للطّبيعة وأنّه، سبحانه، يتدخّل بأسلوب خارق للطّبيعة ، في الكون وفي الشّؤون البشريّة، حتّى يومنا هذا. كما يؤمنون أنّ الله هو إله كلّي القدرة وأنّه يستطيع أن يشفي النّاس بدون الحاجة لعلاج دوائيّ أو طبيعيّ إذ أنّ "عند الله كلّ شيء مُستطاع (بشارة متّى الإنجيليّة 26:19) . إنّ قوّة الله القدير لَمْ تَتَنَاقَصْ بِأَيِّ حالٍ منذ عَصْرِ الرُّسُلِ المُعْجِزِيّ، فَعَمَلُ النّعمة الإلهيّة الّذي به يُحتَسَبُ المُذنب بريئًا لأنّه صدّق أنّ عقاب ذَنْبِه قد حمله عيسى المخلّص، والّذي يُنقَل به من هويّة العَدَاء لله إلى السّلام معه، عمل النّعمة الإلهيّة هذا هو بالتّأكيد عمل الله الخارق للطّبيعة دائمًا!

إلّا أنّ جماعة الإيمان الكِتَابِيَّة لا تؤمن أن الله عزّ وجلّ يستخدم رجالًا ونساء، في أيّامنا هذه، كأدوات بشريّة ليُجريَ معجزات بنفس الطّريقة الّتي استخدم بها الأنبياء والرُّسُل قديمًا. هذه الجماعة لديها قناعة تامّة أنّ المعجزات والعجائب المزعومة في أيّامنا داخل الحركة الكاريزماتيّة - وهي الفئة الّتي تؤمن وتروّج لهذه الادّعاءات الباطلة - لا علاقة لها بمعجزات الرُّسُل، كما وأنّ جماعة الإيمان هذه مقتنعة بما جاء في الوحي الطّاهر وفي التّاريخ أنّ ما يُعْمَل في يومنا هذا لا يماثل مواهب المعجزات الّتي سجّلها كتاب الإنجيل الشّريف ببشائره ورسائله الإنجيليّة. إنّ الرّوح القدس لم يعطِ أيّ مؤمن في العصر الحديث مواهب مُعْجِزِيَّة مماثلة لتلك الّتي أعطاها للرّسل.

الكاريزماتيّون والمُعْجزاتُ المَزْعُومَة في عَصْرِنَا.

يزعم الكاريزماتيّون مزاعم في غاية الغرابة، فالبعض يعتقد أنّ الله سبحانه يجعله يُقيم الموتى! من أولئك القادة، الأميركي أورال روبيرتز الّذي قال في أحد لقاءاته عام 1987 : "أستطيع أن أقول لكم عن كلّ النّاس الأموات الّذين أقَمْتُهُم. كان عليَّ أن أتوقّف عن الوعظ وأرجع لأُقيم شخصًا ميّتًا"! وغيره من المعلّمين الكاريزماتيّين المُضلِّين الّذين يُعلّمون أنّ أمواتًا يقومون حرفيًّا في أيّامنا هذه، وأنّ هذا الأمر يحصل عدّة مرّات في السّنة! إلّا أنّ الأمر الهامّ والمُؤكَّد، أنّه لا يمكن إثبات ولا حادثة واحدة لإقامة الموتى في عصرنا الحديث. فعندما تحدّى أَحَدُهُم أورال روبيرتز لإعطاء أسماء وعناوين الّذين أقامهم من الموت، امتنع عن فعل ذلك! بعدها، تذكّر حادثة واحدة فقط منذ أكثر من عشرين سنة، عندما (وعلى حَدِّ قوله) أقام طفلاً أمام 10 آلاف من الشّهود - وكان ذلك أثناء إحدى خدمات الشّفاء الّتي كان يقوم بها حيث قفزت أمامه إحدى الأمّهات وصرخت: طفلي ميت". وقال روبيرتز إنّه صلّى على الطّفل ثم "اهتزّ واهتزّ في يديه"- وأقرّ روبيرتز أنّه لا هذا الطّفل ولا غيره من الّذين "أعاد إليهم الحياة"، كانوا أمواتًا إكلينيكيًّا".

حقًّا! ما أبعد إدّعاءات روبيرتز الباطلة عن معجزة إقامة عيسى المسيح للعازر بعد أربعة أيّام في القبر. فإن كان الأمر كما يَفْتَرِضُ المعلّمون الكاريزماتيّون أنّ الموتى يُقامون حرفيًّا عدّة مرّات كلّ سنة، أفليس من المنطقيّ أن نتوقّع التحقّق من معجزة واحدة منها على الأقلّ؟

والحقيقة هي أنّ أولئك الّذين يدَّعُونَ حدوث المعجزات في أيّامنا، هم غير قادرين أن يُثْبِتُوا ادّعاءاتهم الزّائفة. فبعكس معجزات عصر الرّسل الّتي كانت تُجرَى في العادة على مَرْأًى من جموع لا تؤمن بكلامهم، نلاحظ أنّ المعجزات المُعاصرة المزعومة تحدث إما سرًّا أو في اجتماعات دينيّة معيّنة. كما نجد أنّ نماذج المعجزات المزعومة ليست كمعجزات عصر الرّسل: فقد أجرى عيسى المسيح ورسله أَشْفِيَةً سريعة وتامّة لأناسٍ مولودين عُميانًا وشُلًّا، ولرجلٍ ذي يدٍ يابسة وغيرها من المعجزات الّتي كانت كلّها واضحة ولا يمكن إنكارها، حتّى أنّ علماء الدّين في أيّام عيسى المسيح، الّذين كانوا يُكنّون العَدَاءَ له، لم يتمكّنوا من التّشكيك في حقيقة معجزاته! فتلك المعجزات كانت في الحال ودَقِيقَةً ودائمة، إذ لم يُجْرِ عيسى المسيح ورُسُلُه معجزة واحدة ببطء أو ناقصة، على عكس أغلب المعجزات العصريّة الّتي غالبًا ما تكون جزئيّة أو تدريجيّة أو مؤقّتة! فالمعجزات الفوريّة الوحيدة هي الأشفية الّتي يبدو أنّها تشمل صُوَرًا من الأمراض النفسيّة، ونادرًا – إن لم يكن إطلاقًا – ما وجد المرضى بعاهاتٍ منظورة عَونًا من أولئك الّذين يَدَّعُونَ امتلاك مواهب الشّفاء. وفي حوارٍ تلفزيونيّ مع رجل قِيل إنّه شُفِي من العَرَج، صرّح أنّه تحرّر من الكُرسيّ المتحرّك لأوّل مرّة بعد عدّة سنوات، إلا أنّه كان يمشي باستخدام عُكّازيْن ولا يزال يضع شدّادات

ثقيلة على رجليه! إذًا، يظهر لنا جليًّا عَجْزُ صانعي "المعجزات" المُعَاصِرين عن إجراء المعجزات الّتي صنعها عيسى المسيح ورسله.

هل عَصْرُ الرُّسُلِ المُعْجِزِيّ ما زالَ مُسْتَمِرًّا كما يَزْعَمُ الكَارِيزِمَاتِيُّون؟

يعتقد أنصار الحركة الكاريزماتيّة بأنّ عصر المعجزات لم يَنْتَهِ، وقد كتب أحد أبرز قادتهم يقول: "لأنّ الكنيسة الأولى كانت خليقة الرّوح القدس، والرّوح القدس لم يتغيّر؛ بل يريد أن يُكَرِّرَ في كلّ جيل ما عمله في جماعة الإيمان الأولى بواسطة رُسُل المسيح ". فهو يظنّ أنّ المعجزات والأحداث الّتي وُصِفت في كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ يجب أن تكون مِعياريّة على مدى تاريخ جماعة الإيمان، ورأيه هذا يعكس تفكير أغلب الخَمْسِينِيّين والكاريزماتيين الّذين كثيرًا ما نَسَبُوا لحركتهم جَدَارَتَها بأن تكون "خَلَفًا بل حتّى خَلَفًا فائقًا لحركة الإصلاح في القرن السّادس عشر، بل وتَقْرُبُ بأن تكون نسخة صادقة لحركة الرُّسُل في القرن الأول الميلادي".
وبحسب الخَمْسِينِيّينَ والكاريزماتِيّين، فإنّ أسلوب الرّوح القدس لم يتغيّر لكنّ جماعة الإيمان هي الّتي قد تغيّرت وأصبحت شكليّة وطقسيّة، ونتيجةً لذلك، خسرت جماعة الإيمان قوّة الرّوح القدس. إلّا أنّهم يؤمنون بأنّ قوّة الرّوح القدس قد اسْتُعِيدَت بعد حوالي ألفي عام، وكثيرون منهم يتحدّثون عن "استعادة "قوّة الرّوح القدس" الّتي كانت في عصر الرُّسُل من خلال حركتهم، ويزعمون أنّ ما عمله الرُّسُل في القرن الأوّل يعمله المؤمنون اليوم.

ولكن هل مزاعمهم هذه حقيقيّة؟ إن كانت كذلك، فلماذا تختلف الرّؤى والإعلانات والألسنة والأشفية والمعجزات اختلافًا شديدًا عن تلك الّتي أجراها الرّسل؟ وما الّذي حدث للمعجزات والأشفية والعجائب في الألف وتسعمائة سنة، منذ اختفاء الرّسل من المشهد؟ هل كان الرّوح القدس لا يحرّك ساكنًا أثناء هذه المدّة؟ أم أنّه أظهر قوّته طوال هذه السّنوات الأخيرة بين مجموعات معيّنة ومُتَعَصّبَة فقط؟ هل علينا فعلاً أن نتوقّع معاينة نفس نوع المعجزات الّتي رأتها جماعة الإيمان الأولى، من أشفية وإقامة الموتى؟!
للإجابة على هذه الأسئلة المهمّة، من الضّروريّ جدًّا أن نفهم متى ولماذا حَدثت المعجزات في الوحي المقدّس؟

خَصَائِصُ المُعْجِزَاتِ فِي الوَحْيِ المُقَدَّس

أغلب المعجزات الّتي سجّلها الوحي الشّريف حدثت في ثلاث حِقْبَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ نِسْبِيًّا من التّاريخ الكتابيّ ولم يَسْتَمِرَّ أيٌّ منها لأكثر من مائة عام: في أيّام موسى ويشوع، وأثناء خدمة إيليا وأليشع، وفي زمن عيسى المسيح ورُسُلِه. وقد شهدت كلّ فترة منها معجزات متزايدة لم يُسمع عنها في حِقَبٍ أُخَر. حتّى أثناء تلك الحِقْبَاتِ الثّلاث، لم تكن المعجزات هي أهمّ الأحداث حينها، فالمعجزات الّتي حدثت شَمَلَت أناسًا كانوا مُرْسَلِينَ من الله غيرَ عَادِيّين (بالإضافة إلى كلمة الله المُتَجَسِّد عيسى المسيح) – موسى ويشوع وإيليّا وأليشع ورُسُلَ المسيح.

ويَتَفَرَّدُ العَصْرُ المُعْجِزِيّ لِعِيسَى المسيح ورُسُلِهِ عن الحِقْبَتَيْنِ الأوَّلِيَّيْن ، فقد نُفِيَ المرض من فلسطين، والأرواح الشرّيرة كانت تُقْهَرُ يوميًّا، والموتى كانوا يقومون. إنّ كثافة حِقْبَةَ المعجزات تلك ومجالها، تُوَسِّعُ الهُوَّةَ بينها وبين الإثْنَتَيْنِ الأُخْرَيَيْن، إذ لم يوجد ما يماثلها في التّاريخ ولا يوجد سبب لافتراض تكرارها ثانيةً.

وبخلاف تلك الحِقْبَاتِ الثَّلاث، فإنّ الأحداث الخارقة للطّبيعة التي سُجِّلَتْ في الوحي المبارك كانت حوادث مُنْفَصِلَة. ففي أيّام النَبيّ إشعياء مثلاً، هزم الله جلّ جلاله جيشَ سنحاريب بأسلوب خارق للطّبيعة (كتاب الملوك الثّاني التّوراتي 35:19 – 36)، ثم شَفَى الملكَ حزقيَّا وأرجع ظِلَّ الشمس للخلف (كتاب الملوك الثّاني التّوراتي 1:20 – 11). وفي أيّام النّبي دانيآل ، حَفِظَ الله القدير شدرخ وميشخ وعبد نغو في أتون النَّار (نبوّة دانيآل 20:3 – 26).

وعند دراستنا للأحداث الخارقة للطّبيعة في الكتب التّوراتيّة (كُتُبِ العهد القديم)، نجد أنّ المعجزات الّتي تمّت بوسائط بشريّة كانت نادرة جدًّا. فالشّفاء والتحرّر من الأرواح الشرّيرة كانا نادِرَيْن بدرجة ملحوظة، وهذا هو أحد الأسباب الّتي جَعَلَتْ خِدْمَةَ عيسى المسيح للشّفاء عجيبة بالنّسبة لمُعاصريه إذ لم يُظْهِرْ أَعْظَمُ الأنبياء هذا النَّوْعَ من القوّة الّتي امتلكها عيسى ورُسُلِه- أي القدرة على شفاء أيّ شخص وكلّ شخص (بشارة لوقا الإنجيليّة 40:4 ؛ كتاب أعمال الرّسل الإنجيلي 16:5).

وفي دراستنا للكتب التّوراتيّة، نجد أنّه علاوة على الأنبياء المُصْطَفِين الّذين ذكرناهم: موسى ويشوع وإيليا وإليشع، فإنّ الشّخص الوحيد الّذي اعتاد أن يُجري أعمالاً مُبْهِرة خارقة للطّبيعة كان شمشون. ويُعْتَبَرُ شمشون استثناءً عن باقي صانعي المعجزات في كلّ النّواحي تقريبًا: فهو لم يُعلِّم حقائق عظيمة (الواقع أنّه لم يكن واعظًا ولا معلّمًا حتّى أنّه لم يكن رجلاً أمينًا)، ويبدو أنّ دوره الوحيد كان حماية الشّعب العبرانيّ، وقد أُعْطِيَتْ له قوّته لهذه المهمّة بالتّحديد، فلم يوجد شخص آخر أَظْهَرَ قوّة جِسمانيّة مثل هذه.

يجادل أنصار الحركة الكاريزماتيّة بأنّ فكرة الحِقْبَاتِ الثّلاث للمعجزات لا أساس لها إطلاقًا، ويعتقدون أنّه لا يمكن أن تُبَرهَنَ كِتَابِيًّا مُبرّرين السّبب بأنّهم يجدون المعجزات في كلّ موضع في الوحي المقدّس كالخليقة والطّوفان، وبلبلة الألسنة، ودعوة أبرام، وغيرها من الأحداث الخارقة للطّبيعة والقصاص الإلهيّ...، ويعتبرون أنّ مثل هذه الأحداث تُثْبِتُ أنّ المعجزات هي حاسمة في برنامج الله في كلّ عصر. لذلك يُعَدِّدُونَ كلّ عمل خارق للطّبيعة عَمِله الله سبحانه ليدعموا فكرة استمراريّة عصر رسل المسيح المعجزي! لكنّ أغلب الحوادث الّتي يستشهدون بها، هي عبارة عن أعمال الله الخارقة للطّبيعة بعيدًا عن أيّ عامل بشريّ: فالكوارث العالميّة أو المشاهد في السّماء أو الحوادث المُرَوِّعة ليست مثل معجزات رسل المسيح! إنّ حجّة الكاريزماتيّين تعجز عن الاعتراف بالفرق!

ممّا لا شكّ فيه أنّ الله عزّ وجلّ يستطيع أن يقتحم مجرى التّاريخ بأسلوبٍ خارقٍ للطّبيعة في أيّ وقت يريده، لكنّه اختار أن يُحِدّ نفسه في ثلاث حِقْبَاتٍ من المعجزات الكِتَابِيَّة بصفة أساسيّة، يَتَخَلَّلُها مظاهر خارقة للطّبيعة نادرة جدًّا. باقي الوقت يعمل الله من خلال أعمال عنايته الإلهيّة.

وتوجد على الأقل ثَلاثُ خَصَائِصَ للمعجزات في الوحي المقدّس تساعدنا على فهم السّبب الّذي لأجله عمل الله، جلّ جلاله، بهذا الأسلوب:

1- إدخال حِقَبٍ جديدة من الإعلان الإلَـهِيّ الكِتَابِيّ:

كُلُّ الحِقَبِ الثّلاث للمعجزات كانت الأوقات الّتي أعطى فيها الله إعلانه المكتوب (الوحي المقدّس) بغزارة. إنّ أولئك الّذين أَجْرَوا المعجزات كانوا نفس الأشخاص الّذين أعلنوا عصرًا جديدًا للإعلان الإلهيّ. لقد كَتَبَ موسى أوّل خمسة كُتُبٍ توراتيّة، وأدخل النَبِيَّان إيليّا وأليشع العصر النبويّ، ودَوَّنَ رسل المسيح اثنين من البشائر ومعظم الرّسائل الإنجيليّة. حتّى العجائب الخارقة للطّبيعة النّادرة الّتي حدثت في عصور أُخَر كانت مرتبطة برجال استخدمهم الله لِيُدَوِّنُوا كلام الوحي المُبارَك. لقد كان شفاء حزقيّا على يد إشعياء النبيّ كاتبِ كِتَابَ إشعياء التّوراتي، وحِفْظُ الثَّلاثَةِ فِتْيَةٍ في أتون النار رفاق النبيّ دانيآل كَاتِبِ كِتَابَ دانيآل التّوراتي.

لقد أجرى موسى كثيرًا من المعجزات في محاولة لإقناع فرعون بأن يُطلق الشّعب العبرانيّ. وظهرت أيضًا المعجزات مرافقةً للعبرانيّين في رحلتهم من مصر وفي البريّة. وأثناء إعطاء الله شريعته المُقَدَّسَة على جبل سيناء، فإنّ لقاء موسى مع الله عزّ وجلّ كان مصحوبًا بمعجزات مُثيرة للغاية (نار ودخان وصوت بوق ورعد) حتى أنّ موسى نفسه كان مُرتعدًا (الرّسالة الإنجيليّة إلى العبرانيّين 18:12 – 21). هكذا بدأت الفترة الأولى العظيمة للإعلان الإلهيّ. لقد سجّل موسى أوّل خمسة كتب توراتيّة بأكملها، وكتب يشوع (خليفة موسى) الكتاب الّذي يحمل اسمه (كتاب يشوع التّوراتي). وقد أُضيفت كتب أُخَر بِشَكْلٍ مُتَقَطِّعٍ بعد عهد موسى ويشوع، على سبيل المثال، ربما يكون نبيّ الله صموئيل هو من دَوَّنَ كُتُبَ القضاة وصموئيل الأوّل وصموئيل الثّاني التوراتيّة، وكَتَبَ داود النبيّ أغلب كتاب المزامير (الزّبور)، وكَتَبَ سليمانُ الحكيم أغلب أدب الحكمة. لكنّ تلك الكُتُبَ التوراتيّة لم يُلازِمْهَا تَدَفُّقٌ كبير للمعجزات مثلما حدث في أيّام موسى ويشوع.

أمّا المجموعة الرَّئيسِيَّة الثّانية من الأحداث المُعْجِزِيَّة فقد لازمت حِقْبَةً جديدة من الإعلان الإلَهِيّ الكتابيّ – أي عصر أنبياء التّوراة (أنبياء العهد القديم). فبعد مُلْكِ سليمان الحكيم، انقسمت مملكة إسرائيل إلى المملكة الشماليّة (إسرائيل) والمملكة الجنوبيّة (يهوذا)، وقد تدهورت المملكة الشماليّة بسرعة بسبب عبادة الأصنام ووصلت للحضيض أثناء مُلْكِ الملك أخآب. في ذلك الوقت، أقام الله النَّبِيَّيْن إيليا وأليشع وفي أثناء حياتهما، فإنّ المَنْصِبَ النَّبَوِيّ أُسِّسَ بواسطة معجزات مُثيرة كثيرة، والأنبياء التّابعون لهما كتبوا الكُتُبَ التَّوْرَاتيَّة من كتاب النّبيّ إشعياء التّوراتي حتى كتاب النّبيّ ملاخي التّوراتي.

ثمّ كانت هنالك فترة صَمْتٍ عن الإعلان - لم يَتَنَبَّأْ أحد ولم تُسَجَّلْ أيّة معجزات خلالها- وقد استمرّت قرابة أربع مئة سنة قبل تَجَسُّدِ كلمة الله عيسى المسيح مباشرة. ثمّ بدأت الحِقْبَةُ الثّالثة للمعجزات (30 – 96 م) مُصَاحِبَةً لِتَدْوِينِ الإنجيل الشّريف بكلّ ما تَضَمَّنَ من بَشَائِرَ ورَسَائِلَ إنْجِيلِيَّة.

2- إثباتُ حَقِيقَةِ رُسُلِ الإعْلَانِ الإلَـهِيّ:

لقد أدّت المعجزات كلّها غَرَضًا هامًّا، فهي لم تكن مجرّد أحداث إلهيّة تجذب الانتباه، بل أبرزت وبرهنت على صحّة مزاعم الأنبياء المُصْطَفين بأنّهم يتكلّمون عن الله جلّ جلاله وأكّدت لِجَمِيع الّذين عَايَنُوها بأنّ الله كان يتكلّم. على سبيل المثال، أكّدت المعجزات لفرعون ثم لِلعبرانيّين أنّ موسى يتكلّم عن الله. فالبرهان المُعجزيّ أكّد وَقَارَ الشَّرِيعَة المَكْتُوبة.

لقد كان لموسى ويشوع وإيليا وأليشع وعيسى المسيح ورُسُلِه جميعًا القدرة على عمل عجائب عديدة، وكانت هذه مُصَمَّمَةً لإقناع النّاس أنّ الله تعالى كان مع هؤلاء وأنّه كان يتكلّم بواسطتهم.

نقرأ في كتاب الملوك الأوّل التّوراتي الفصل السّابع عشر، أنّ النبيّ إيليّا أقام ابن الأرملة من الموت. لقد أحضره من العليّة، وقدّمه لأمّه وقال: "انظري ابنك حي" (23:17). فماذا كانت إجابة الأرملة؟ "هذا الوقت علمت أنّك رجل الله وأنّ كلام الرّب في فمك حقّ". (24:17).
وفي بشارة يوحنا الإنجيليّة الفصل العاشر، كان عيسى المسيح في مواجهة مع علماء الدّين المُدّعين الّذين تحدَّوه قائلين: "إلى متى تعلّق أنفسنا؟ "إن كنت أنت المسيح فقُل لنا جهراً. أجابهم : " إنّي قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي" (24:10 – 25). والواضح أنّ معجزات المسيح كان لها هدف، فقد أَثْبَتَتْ أُلُوهِيَّتَهُ وحَقِيقَةَ رِسَالَتِه.

وفي عِظَةِ يوم الخمسين (بعد قيامة المسيح بِخَمْسِينَ يومًا)، أخبر بطرس الجموع أنّ عيسى المسيح رجلٌ قد تَبَرْهَنَ لهم من قِبَل الله بِقُوَّاتٍ وَآيَاتٍ (معجزات) صَنَعَهَا الله بِيَده في وسطهم (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 22:2). إنّ نفس نوع القوّة كانت لِرُسُلِ المسيح أيضًا، ففي رحلة بولس الرّسول التّبشيريّة الأولى، بَشَّرَ هو وبرنابا في مدينة إيقونية، "يُجاهران بالرّب الّذي كان يَشهد لكلمة نعمته، ويُعطي أن تُجْرَى آياتٌ وعجائب على أيديهما" (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 3:14).

وتجدر الملاحظة هنا، أنّه لم تكن لكلّ المؤمنين القوّة لعمل المعجزات. كثيرا ما يتحدّث النّاس، بدون تدقيق، عن جماعة الإيمان الأولى في كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ على أنّها كانت مُخْتَصَّةً بالمعجزات، لكنّ الأَدَقَّ أن نتحدّث عن جماعة إيمان بها رُسُلٌ صَانِعُو العجائب. فَرُسُلُ المسيح كانوا البارزين بِبَدْءِ الكلام بلغات أُخَر، والرّسول بطرس، المتحدّث باسمهم، هو الّذي شرح هذا للجموع وقدَّم لهم عِظَةَ الإنجيل القديرة. وفي ختام يوم الخَمْسِين، عَلِمنا أنه: "صار خوفٌ في كلّ نفس. وكانت عجائب وآيات كثيرة تُجرَى على أيدي الرّسل" (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 43:2).

ونصوص أُخَر من الوحي المقدّس تؤكّد هذه الحقيقة: "وجرت على أيدي الرُّسل آيات وعجائب كثيرة في الشّعب (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 12:5). "فسكت الجمهور كلّه، وكانوا يسمعون برنابا وبولس يُحدِّثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم" (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 12:15). إنّ علامات الرّسول صُنِعَتْ بينكم في كلّ صبر، بآيات عجائب وقوّات" (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 12:12).

كَرَّرَ الله إثبات حقيقة رُسُلِ إعلانه الجديد عن طريق المعجزات – في وقت موسى ويشوع، وفي وقت إيليا وأليشع وفي أيّام المسيح ورُسُلِه.

3- تَوْجِيهُ الإنْتِبَاه إلى إعْلانٍ إلَهِيٍّ جَدِيد:

لقد استخدم الله سُبحانه المعجزات، ليجذب انتباه النّاس للشّخص الّذي استخدمه لتوصيل الرّسالة للنّاس حتّى يتأكّدوا أنّه كلام الله حقًّا، وبذلك كان قادرًا أن يخبرهم ما يريدهم أن يعملوا. إذن، كان للمعجزات دور إعلاميّ، يتخطّى التّأثير المُبَاشَرِ للمعجزة نفسها.

مثال ذلك، المعجزات الّتي صنعها كليم الله موسى في مصر، قصد الله بها استنارة مجموعَتَيْن من النّاس - العبرانيّين والمصريّين، إذ نقرأ في كتاب الخروج التّوراتي الفصل السّابع عن معجزات موسى الأولى، ومن هنا بدأ العبرانيّون يؤمنون بقوّة الله القدير. أمّا فرعون، فكان حالةً مُسْتَعْصِيَة، فما أن حلَّت الضّربة العاشرة وهي الضّربة الأرهب حيث مرَّ الملاك المُهْلِكُ على مصر ليقتل أبكار المصريّين – حتّى سمح للعبرانيّين أخيرًا أن يخرجوا من مصر.

كذلك كانت معجزات إيليّا وأليشع مُؤَثِّرَةً في إقناع أتقياء الله وغير المُتّقين، بأنّ ما قاله هذان الرّجُلان كان كلمة الله. إنّ الصّورة التّوضيحيّة لذلك نَجِدُها في كتاب الملوك الأوّل التّوراتي الفصل 18 حين استجاب الله لإيليّا بنار أكلت الذّبيحة بينما لم يَسْتَجِب البعل لأربعمائة من أنبيائه أمام حشد كبير من العبرانيّين. يقول الوحي الشّريف: "فلمّا رأى جميع الشّعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: "الرّب هو الله الرّب هو الله"

إنّ معجزات المسيح ورُسُلِهِ أُجْرِيَت وسُجِّلَتْ في كتاب الإنجيل الطّاهر لِتَثْبِيتِ المؤمنين وإقناع غير المؤمنين: " لتؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه. (بشارة يوحنا الإنجيليّة 20 : 31)

هل هُنَالِكَ احْتِيَاجٌ لِلْمُعْجِزَاتِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ؟

عندما اكْتَمَلَتْ سِجِلَّاتُ الوحي المُقَدَّس، انتهى إعلان الله ("الله، بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيّام الأخيرة (أي في الحِقْبَة الأخيرة من الزّمن) في ابنه – الرّسالة الإنجيليّة إلى العبرانيّين 1 : 1-2)، وقد أثبت الله عن طريق الكثير من المعجزات والعجائب صِحَّةَ كُتُبِ الوَحْيِ المُقَدَّس. فهل هناك ضرورة مستمرّة للمعجزات لإثبات صحّة إعلان الله؟ هل يمكن لأحدٍ أن يدّعي معجزةً بالإيمان، كما يعلّم البعض؟ هل يعمل الله معجزات كلّما طَلَبْنَا منه؟ وهل الظّاهرة الّتي يُنادَى بها اليوم من عجائب وأشفية تُشْبِهُ تلك المعجزات الّتي عَمِلَهَا عيسى المسيح ورُسُلُه؟

إنّ الإجابة على كلّ هذه الأسئلة هي لا. لا يوجد في الكتاب ما يشير إلى أنّ معجزات عصر رسل المسيح قُصِدَ لها أن تَسْتَمِرَّ في العصور التّالية، ولا يَحُثُّ الوحي الشّريف جماعة الإيمان أن يبحثوا عن إثباتات مُعْجِزِيَّة للرّوح القدس؛ ففي كلّ الرّسائل الإنجيليّة، لا يوجد إلّا خَمْسُ وصايا لها علاقة بالمؤمن والرّوح القدس:

"فَلْنَسْلُكْ أيضًا بحسب الرّوح". (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل غلاطيّة 25:5)
"ولا تُحْزِنُوا روح الله القدّوس". (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل أفسس 30:4)
"امتلئوا بالرّوح". (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل أفسس 5 : 18)
"لا تُطْفِئوا الروح". (الرّسالة الإنجيليّة الأولى إلى أهل تسالونيكي 19:5)
"مُصَلّينَ في الرّوح القدس". (رسالة يهوذا الإنجيليّة 20)
لا توجد وصيّة واحدة في الإنجيل الطّاهر تُوَجِّهُنا أن نبحث عن معجزات.

يؤمن الكاريزماتيّون أنّ المواهب المُعْجِزِيَّة قد أُعْطِيَتْ لِتَهْذِيبِ جماعة الإيمان. لكن، هل في سجلّات الوحي المبارك ما يدعم هذا الاستنتاج؟ لا. الحقيقة هي العكس تمامًا، فبالنّسبة للألسنة كَتَبَ الرّسول

بولس في الرّسالة الإنجيليّة الأولى إلى أهل كورنثوس 22:14 أنّ الألسنة آيَةٌ (أي علامة) لا لجماعة الإيمان بل لغيرهم. لم يُقْصَدْ بالألسنة أبدًا تهذيب جماعة الإيمان، بل لإقناع اليهود غير المؤمنين بِصِحَّةِ الإنجيل، كما حدث في يوم الخمسين، في كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ الفصل الثّاني. إنّ الألسنة والأَشفية والمعجزات كلّها كان دورها إثبات حقيقة حِقْبَةً من إعلانٍ إلهيٍّ جديد، وعندما انتهى عَصْرُ الإعلان، تَوَقّفَت المعجزات أيضًا.

فالمعجزات لا تَظْهَرُ في صَفَحَات الوَحْيِ المُقَدَّس بطريقة عَشْوَائيَّة هنا وهناك، وفي أيّ مكان بلا مبالاة أو بدون سببٍ مُحَدَّد. إنّها تنتمي لحِقَبِ الإعلان، وتَظْهَرُ فقط عندما يتكلّم الله بواسطة مُرْسَلٍ مُفَوَّضٍ مُعْلِنًا أغراضَه الكريمة. إنّ كثرة ظهورها خلال عصر رُسُلِ المسيح ما هو إلّا علامة على غِنَى ذلك العصر في الإعلان الإلهيّ؛ وعندما خُتِمَتَ هذه الفترة من الإعلان، فإنّ فترة عمل المعجزات انْقَضَتْ أيضًا... لقد جعل الرّوح القدس عمله التّابع، لا ليُدْخِل إلى العالم إعلانات جديدة لا حاجة إليها، بل لِنَشْرِ هذا الإعلان الواحد التّام في العالم، ولكي يُحْضِرَ الجِنس البَشريّ لمعرفته المُخَلِّصة من خلال هذا الإعلان.

في الفصل السّابع من كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ، في عظته الشهيرة، تكلّم استفانوس (أوّل شهيد مسيحيّ) عن كليم الله موسى الّذي أجرى "عجائب وآيات في أرض مصر وفي البحر الأحمر وفي البريّة... (و) قَبِل أقوالاً حَيَّةً ليعطينا إيّاها". (36:7 – 38). إنّ كلمة الله الطّاهرة ترسم التّوازي بين معجزات موسى وأقواله الحيّة – ذلك إعلان مُباشر من الله. أيًّا من كان، سواء موسى أو إيليّا أو أليشع أو المسيح ورسله، فإنّ الله من خلال عجائبه ومعجزاته، يوضح أنّ رُسُلَهُ يحملون إعلانًا جديدًا منه.

ما جاء في الفصل الثّاني من الرّسالة الإنْجِيلِيَّة إلى العِبْرانيّين ، يؤكد أنّ إثبات صِدْقِ الأنبياء كان الغَرَضَ الأسَاسيّ للمعجزات في الوحي المقدّس: "فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره، قد ابتدأ الرّب بالتكلّم به ثم تثبّت لنا من الّذين سمعوا، شاهدًا الله معهم بآيات وعجائب وقوّات متنوّعة ومواهب الرّوح القدس حسب إرادته" (2: 3 – 4) . فإننا نرى مجدّدًا أنّ الوحي الكريم يشهد بأنّ العجائب والمواهب المعجزيّة كانت تأييد الله لرسالة عيسى المسيح ورُسُلِه ("الّذين سمعوا"). إن عبارة "تَثَبَّتَ لنا" مكتوبة في صيغة الماضي، وهي تعبير دقيق للنّصّ اليونانيّ، وتُبَيِّنُ أنّ مواهب المعجزات والعجائب أُعْطِيَت فقط لِرُسُلِ المسيح لِتُؤَيِّدَ أنّهم كانوا رُسُلًا لإعلانٍ إلهيّ جديد.

هل يَعِدُّ الله بِالمُعْجِزاتِ لِكُلِّ مَنْ يُؤمِنُ؟

كثيرون من الكاريزماتيّين يُصِرُّونَ على أنّ الله يريد أن يصنع معجزات لِكُلِّ مؤمن، ويزعمون: "أنّ الله عنده معجزة خاصّة لك". لكن، هل على المؤمنين أن يَسْعَوْا للحصول على معجزاتهم الخاصّة؟ إذا قمنا بدراسة المعجزات الّتي صنعها المسيح، لن نَجِدَ واحدة منها عُمِلَت على انفراد. فمع أنّه قد شفى عِلَلَ النّاس وشفى أوجاعهم الجسديّة، فإنّ هذه كانت فوائد ثانويّة. إنّ هدفه الرئيسيّ كان لإثبات أنّه هو المسيح الّذي تَنَبَّأَ عنه جميع الأنبياء الأطهار. وبنفس الطّريقة عندما شفى رُسُلُ المسيح أيضًا النّاس، فإنّ هدفهم الرّئيسيّ كان لإثبات صحّة الإعلان الإلهيّ الجديد – والإعلان الجديد لا يمكن أن يكون مسألة انفراديّة.

إن أولئك المُصَدِّقِينَ لِمَزَاعِم المُعجزات الحديثة – خصوصًا أولئك الأكثر غَيْرَةً في الدّفاع عن العجائب المُعاصِرة – غالبًا ما يكرهون أن يبحثوا عن إمكانيّة أن تكون تلك العجائب بالفعل إثباتًا لصحّة إعلان شيطانيّ أو حتّى احتمال ذلك. فالشّيطان يريد أن يَسْتَبْدِلَ كلمة الله بكلمته. قدّم أحد قادة حركة Children of God الكاريزماتيّة مرّةً هذا الادّعاء: "لقد تنبّأ لي كثير من أنبياء الله مرّات كثيرة على أنّي امتلأت بالرّوح القدس منذ وجودي في رحم أمي وتنبّأوا أنّي سأعمل أعمالاً عظيمة كثيرة ... وأنّي سأكون مثل موسى وإرميا وحزقيال ودانيآل وحتّى داود".

ترفض جماعة الإيمان الكتابيّة هذه الادّعاءات والتّعاليم المُضِلَّة، وكلّ الّذين يضعون أنفسهم في مصافّ أنبياء الوحي المقدّس ويؤمنون "بالإعلانات" الجديدة". إنّ الحقّ الإلهيّ المُعْلَنَ في الوحي الشّريف والإيمان بأنّ الله قد هَيَّأَ كلمته النِّهائِيّة والكافية في الكتاب المقدّس وحده، هما الحماية الحقيقيّة والدّليل الآمن الذي قدّمه الله ضدّ الخداع.
والواقع إنّ جماعة الإيمان الّتي تتطلّع إلى معجزات تُعَرِّضُ نفسها للخداع الشّيطاني إذ لا يوجد في كتاب الإنجيل الطّاهر أمرٌ للمؤمنين أن يبحثوا عن إعلان الرّوح بمعجزات وعجائب.

إنّ كتاب الرّؤيا الإنجيليّ مليء بالرّؤى والعجائب، وكان يمكن أن يكون هو الموضع الأمثل لكاتبه أن يَحُثَّ المؤمنين أن يطلبوا إعلانات معجزيّة كهذه، لكن ماذا قال؟ "هنيئًا للّذي يقرأ وللّذين يسمعون أقوال النُّبُوَّة ويحفظون ما هو مَكْتُوبٌ فيها" (كتاب الرّؤيا الإنجيليّ 3:1).

فما هي الوسائل الّتي صَمَّمَها الله لِيُقَوِّيَ إيماننا؟ "الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل رومية 10 : 17). إن كنّا نريد رجاء، إن كنا نريد مرساة، إن كنّا نريد شيئًا يَحْمِلُنَا أثناء رحلتنا في هذه الحياة، فإنّ الحاجة ليست إلى معجزة، بل نحن نحتاج كلام الوحي المُبَارَك "لأنّ كلّ ما سَبق فكُتِبَ كُتِبَ لأجل تعليمنا حتى بالصّبر والتّعزية بما في الكتب، يكون لنا رجاء" (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل رومية 15 : 4).

تَفَرُّدُ رُسُل المَسِيح

يعتقد بعض الكاريزماتيّين بأنّ "المعجزات" المُعاصِرَة" الّتي نراها اليوم هي برهان على أنّ الله يعطي إعلانًا جديدًا تَثْبُتُ صِحَّتُه بواسطة عجائب جديدة يُجريها "الرُّسُل المُعاصِرُون".
وهذا المفهوم بأكمله يتجاهل دور ووظيفة رُسُلِ المسيح بحسب الحقّ المُعْلَنِ في الوحي الشّريف. لقد كان رسل المسيح أناسًا مُخَصَّصِينَ لِدَوْرٍ مُعَيَّنٍ في حِقْبَةٍ فريدة، وكانوا أساسَ جماعة الإيمان النّاشئة (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل أفسس 20:2). لقد تمّ البناء على ذلك الأساس ولا يمكن وَضْعُهُ من جديد. إذًا، لا يوجد رُسُلٌ مُعَاصِرُون.

ليس ذلك فقط، بل كما سبق ورأينا، فإنّ المعجزات اختصّ بها رسل المسيح وأولئك الّذين كانوا أكثر مُلازَمَةً لهم ، وجماعة الإيمان العاديّة لم تكن لها القدرة أن تُجْرِيَ عجائب. لقد كتب الرّسول بولس في الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس ما يلي: "قد صرت غبيًّا وأنا أفتخر. أنتم ألزمتموني! لأنّه كان ينبغي أن أُمْدَحَ منكم، إذ لم أَنْقُصْ شيئًا عن فائقي الرّسل، وإن كنت لست شيئًا.إنّ علامات الرّسول

صُنِعَتْ بينكم في كلّ صبر بآيات وعجائب وقُوَّات (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 12 : 11-12).

لقد كان الرّسول بولس يدافع عن رَسُولِيَّتِه لأهل كورنثوس، الّذين شكّك بعضهم في سلطانه الرّسوليّ. فلو كان صُنْعُ المعجزات اختبارًا عامًّا لجماعة الإيمان العاديّة، لكان من الحماقة أن يحاول بولس إثبات رَسُولِيَّتِهِ بواسطة ذِكْرِ المعجزات الّتي عَمِلَهَا. من الواضح إذًا أنّه حتّى أثناء العصر الرّسوليّ، لم يكن للمؤمنين غَيْرِ الرُّسُلِ أنْ يَعْمَلُوا عجائب وأعمالاً جبّارة. و لأنّ رسل المسيح تفرّدوا بالقيام بهذه المعجزات، أمكن لبولس أن يستخدم اختباره مع العجائب كَبُرْهَانٍ لسلطانه.

لقد كان لِرُسُلِ المسيح قوّة معجزيّة كَرُسُلٍ لكلمة الله، ونفس هذه القوّة، كانت تُعْطَى أحيانًا لأولئك الّذين عيَّنوهم مثل استفانوس وفيليبس (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ الفصل السّادس). لكنّ هذه القّوة لم تَسْتَمِرَّ لأبعد من ذلك، والحقيقة أنّه منذ يوم الخمسين، لم تَحْدُثْ معجزةٌ إلّا في وجود أحد رُسُلِ المسيح أو أَحَدِ المُعَيَّنِينَ مُبَاشَرَةً من أَحَدِ هؤلاء الرُّسُل.

ويكرّر الوحي المقدّس توضيح تَفَرُّدِ رسل المسيح، ومع ذلك فإن الكاريزماتيّين مُصِرُّونَ على إحياء المواهب والمُعْجِزَات الرّسوليّة، وقد وصل بهم الحدّ إلى الاعتقاد بأنّ بعض النّاس يمكنهم بكلّ مَشْرُوعِيَّة ادِّعَاءَ المَنْصِبِ الرَّسُوليّ في يومنا هذا، ويعلّمون بأنّ بعض الأفراد المَمْسُوحِينَ دُعُوا لِيَكُونُوا رُسُلاً. ومع أنّ المعلّمين الكاريزماتيّين ليسوا متأكّدين إن كانت المُهِمَّة الرّسوليّة تعمل في يومنا هذا أم لا ، لكنّهم مقتنعون بأنّ السّلطان الرّسوليّ في طريقه إلينا، وأنّ عصر الرّسل الجديد سيكون أعظم من الأوّل.

لكنّ موضوع ادّعاء امتلاك السُّلطان عَيْنِهِ الّذي كان لِرُسُل المسيح (السّلطان الرّسوليّ) سبَّب بعض المنازعات داخل الحركة الكاريزماتيّة، وهو أمرٌ مُتَوَقّع. فعندما يدَّعي أناسٌ السُّلطان الرّسوليّ ويقولون نُبُوَّاتٍ خاصّة، وعندما يَدَّعُونَ "كلام حكمة" يتحوّل لِيُصْبِحَ زيْفًا، وعندما يَعِدُونَ بِشِفَاءٍ لا يَحْدُثُ، فإنّ ادّعاءات السّلطان الرّسوليّ تصبح تحت دائرة الشّك. ومع ذلك، فإنّ بعض القادة الكاريزماتيّين يُصِرُّونَ على أنَّهم وَرَثَةً للسّلطان الرّسوليّ وهم تَوَّاقُونَ لممارسة سلطانهم. مثل هذه الرّغبة، غالبًا ما تؤدّي إلى شرور مروّعة حيث أدّت بالكثيرين إلى استنتاج أنّ الوحي المقدّس يحتاج إلى الخضوع التّام لأحد القادة الرّوحيّين. وقد استخدم معلّمون كُثُرٌ هذا التّعليم ليستمرّوا في سُلُطَاتِهِم القاسية والاستبداديّة وأصرّوا على أن يَخْضَعَ من يَتْبَعُونَهُم لكلّ قرار لهم، حتّى أسئلتهم عن الزّواج، والتّصرّف المالي الشّخصيّ، والوظيفة ... مُسْتَغِلّينَ سذاجة النّاس. لقد فاز الكثيرون بِسِيَادَةٍ على حياة النّاس تُضاهي العبادة.
لكنّ نموذج الرّسل كان عكس هذا النّوع من القيادة تمامًا، إذ لم يستخدم الرّسل سلطانهم، ولم يُجَلْجِلُوا بأوامر جهيرة، ولم يجذبوا الانتباه إلى أنفسهم. نقرأ في الفصل الأخير من الرّسالة الإنجيليّة الثّانية لأهل كورنثوس قول الرّسول بولس: "لذلك أكتب وأنا غائب لكي لا أستعمل جَزْمًا وأنا حاضر حسب السّلطان الّذي أعطاني إيّاه الرّب للبُنيان لا للهدم (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 13 : 10)

6 أسباب وَرَدَتْ في الوحي المُقَدَّس تَسْتَبْعِدُ وُجُودَ وَظِيفَة الرُّسُل في أيَّامِنا هذه:

1- ***إنّ وظيفة الرُّسُل كانت تَأْسِيسِيَّة***، وعندما كتب الرّسول بولس لِجَمَاعَةِ الإيمان في أفسس، قال إنّ الكنيسة بُنِيَتْ على أساس الرُّسُل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزّاوية (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل أفسس : 2: 20) .

فالرّسل كانوا مُعيّنين ليكونوا أساس جماعة الإيمان، بمعنى أنّ دورهم كان أن يُعطوا أساسًا ودعمًا وتوجيهًا ويقدّموا دعامة لجماعة الإيمان. لقد أنجزوا هذا الدّور، وبكلمات أُخَرْ لا يمكن تكراره.

2- ***كان الرّسل شُهودَ عَيان لقيامة المسيح المجيدة من الموت***: عندما كان بولس يُثْبِتُ رَسُولِيَّتَه لجماعة الإيمان في كورنثوس كتب يقول: "ألسْتُ أنا رسولًا؟ أما رأيْتُ يسوع المسيح ربّنا؟ (الرّسالة الإنجيليّة الأولى إلى أهل كورنثوس 9 : 1). وفي الفصل الخامس عشر من الرّسالة الإنجيليّة عَيْنِهَا ، يسجّل الرّسول بولس أنّ المسيح المُقام رآه يعقوب ثمّ كلّ الرّسل، وأخيرًا رآه بولس نفسه. (15 : 7 -8)

يدَّعى بعض الكاريزماتيّين اليوم أنّهم رأَوْا المسيح بعد قيامته. مثل هذه الادّعاءات لا يمكن إثباتها، لكن في حالة ظهورات المسيح المُقَام الّتي دوّنها الإنجيل الطّاهر، فواضح أنّه ظهر في مرّات قليلة، عادةً لمجموعات من النّاس مثل الرّسل في العلّيّة، وقد انتهت تلك الظّهورات بصعوده إلى السّماء. الاستثناء الوحيد كان ظهوره لبولس في الطّريق إلى دمشق في حادثة خارقة للطّبيعة لا يمكن إنكارها . (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّة 9: 1- 9). وقد ظهر بعد ذلك لبولس الرّسول في مُنَاسَبَتَيْن أُخْرَيَيْن (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 18: 9 ؛ 23 : 11). ولا يوجد دليل موثوقٌ به عن ظهوره لأيّ شخص، منذ ختام عصر الرّسل.

3- ***اخْتِيرِ الرُّسل شَخْصِيًّا بواسطة عيسى المسيح:***

بشارة متّى الإنجيليّة 10: 1- 4 تصف بوضوح تَسْمِيَةَ الرُّسُل الاثني عشر (الحواريّين) ، وبشارة لوقا الإنجيليّة 6: 13 – 16تصف نفس الحادثة. بعد ذلك، خان يهوذا المسيح وانتحر، وقد حلّ متياس مكانه بواسطة القرعة الّتي أجراها رسل المسيح بأنفسهم وقد اعتقدوا أنّ المسيح سَيُسَيْطِرُ على القرعة وبالتّالي الاختيار (قارن كتاب الأمثال التّوراتي 16 : 33). وكان لبولس اختباره الفريد مع المسيح في الطّريق إلى دمشق.

وكلمة رسول في اللّغة العبريّة (Šalîah) هي تَفْوِيضٌ أو تَوْكِيلٌ للشّخص الّذي يمثّله، الّذي يتّخذ كلّ النّفوذ ليتصرّف بالنِّيَابة عن سيّده. لقد عيَّن عيسى المسيح رسله لِيُمَثِّلُوهُ بهذه الكيفيّة.

صحيح أنّ هناك آخرين دُعُوا رُسُلًا في مواضع أخرى من الإنجيل الطّاهر، كما في الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 8 : 23 لكنّهم دُعوا رُسُلَ الكنيسة (جماعة الإيمان)، وهو اصطلاح غير فنيّ له معنى عام. أن تكون رسول المسيح مُرْسَلًا منه شخصيًّا، فهذا يختلف تمامًا عن أن تكون رسول الكنيسة، الّذي تُرْسِلُهُ جماعة المؤمنين. كما أنّ الوحي المقدّس لم يذكر أنّ رسل الكنيسة قد أَجْرَوْا معجزات.

لقد أوضح بولس لجماعة الإيمان في غلَاطِيَّة أيّ نوع من الرّسل كان هو: "بولس رسول لا من النّاس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب، الّذي أقامة من الأموات" (الرّسالة الإنجيليّة إلى أهل غلاطيّة 1:1).

إنّ الاثني عشر رسولًا الأصليّين (بمن فيهم متياس بديل يهوذا)، بالإضافة إلى بولس الرّسول كانت لهم مهمّة غير قابلة للانتقال لآخرين، ألا وهي توضيح عقيدة الكنيسة وتأسيسها.

عندما وَضَعَت الرّسائل الرعويّة مبادئ للقيادة الكَنَسِيَّة الدّائمة، تحدّثت عن شيوخ وشمامسة، ولم تذكر رُسُلًا.

4- ***كان رُسُلُ المَسِيح مُؤَيَّدِين بِأَعْمَالٍ مُعْجِزِيَّة:*** **لقد شفى الرّسول بطرس الرّجل الأعرج عند باب الهيكل (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 2:3 – 11)، كما شفى آخرين كثيرين (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 5 : 15 – 16) وأقام طابيثا من الموت (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 9: 36 - 42)، أما بولس الرّسول فقد أعاد الحياة لأفتيخوس بعد سقوطه ميّتًا (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 20 : 7 - 12) كما لدغته حيّة سامّة دون أن تَضُرَّه (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 28 : 1 - 6). وكما لاحظنا قبلًا، لم تُجرَ معجزات كهذه – حتّى في عصر رسل المسيح – بواسطة أناس غير رسل المسيح وأولئك الّذين فَوَّضَهُم رُسُلُ المسيح.**

5- ***كانَ لِرُسُلِ المسيح سُلطَانٌ مُطْلَقٌ:*** **كان لرسل المسيح سلطان أكثر بكثير ممّا للأنبياء الآخرين المُعاصِرِينَ لهم الّذين كان يجب أن يُحْكَمَ على ما يَنْطِقُونَ به من حيث دِقّتِهِ وَصِحَّتِه (انظر مثلًا الرّسالة الإنجيليّة الأولى إلى أهل كورنثوس 14: 29 - 32). عندما تكلّم رسل المسيح، لم يكن هناك أيّ نقاش فقد كانوا معروفين على أنهّم أداة إعلانات الله. في رسالة يهوذا الإنجيليّة المُوجَزَة والمُحَذِّرة لجماعة الإيمان يقول: "وأما أنتم أيّها الأحبّاء فاذكروا الأقوال الّتي قالها سابقًا رُسُلُ ربّنا يسوع المسيح" (رسالة يهوذا الإنجيليّة 17).**

6- **لِرُسُلِ المسيح مَوْضِعٌ من الإِكْرَام مُتَفَرِّدٌ وَأَبَدِيّ: ونقرأ عن هذا في كتاب الرّؤيا الإنجيليّ الفصل الحادي والعشرين .فأسماء رسل المسيح فريدة، ومُهِمَّتُهم فريدة وخِدْمَتُهم فريدة، والمعجزات الّتي أَجْرَوْهَا فريدة. إنّ رسل المسيح كانوا فِئةً خاصّة بلا مُنازِع، ليس لهم خُلَفَاء، وعصرهم وما عملوه أصبح في الماضي وللأبد.**

بحلول القرن الثّاني للميلاد، كان رسل المسيح قد رحلوا عن عالمنا والأمور بالنّسبة للمعجزات قد تغيّرت لدرجةٍ كبيرة. معجزات رسل المسيح مضت ولا وجود للسّلطان الرّسوليّ ضمن جماعة الإيمان.

لقد كان عصر رسل المسيح فريدًا وانتهى. هذا ما يقوله التّاريخ ويقوله عيسى المسيح ويقوله عِلم اللّاهوت، كما أنّ كتاب الإنجيل الطّاهر يصدِّق على هذا مرارًا وتكرارًا .

هل فَقَدَ الله قُدْرَتَهُ وَسُلْطَانَهُ فِي أيَّامِنا؟

في كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 5 : 16 وفي بداية عصر رسل المسيح، نقرأ عن الجموع الّتي كانت تُشْفَى على أيدي هؤلاء. بعد 25 سنة من ذلك، نرى بولس، أعظم الرّسل، لم يَنْجُ من الشّوكة الّتي في الجسد (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 12 : 7 - 10)، ومع أنّه بدا في وقتٍ ما أنّ له القدرة أن يشفي آخرين في أيّ وقت يريد (كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ 28 : 8)، إلّا أنّه عند اقتراب نهاية حياته، لم يظهر أيّ دليل على استمرار وجود مثل هذه الموهبة. لقد نصح تلميذه تيموثاوس أن يأخذ قليلاً من الخمر من أجل معدته، وهو أسلوب شائع لعلاج الأمراض في ذلك الوقت (الرّسالة الإنجيليّة الأولى إلى تيموثاوس 5 : 23). بعد ذلك وفي نهاية حياته ، ترك أخًا محبوبًا مريضًا في ميليتس (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى تيموثاوس 4 : 20). لا بدّ أنه كان سيشفيه لو كان ذلك في استطاعته.

في الصّفحات الأولى من كتاب أعمال الرّسل الإنجيليّ، نقرأ أنّ مدينة القدس شهدت كثيرًا من المعجزات. بعد استشهاد استفانوس، لم تُذكر أيّة معجزة في تلك المدينة. كان هناك شيء يتغيّر.
إنّ معجزات عصر رسل المسيح لم تكن نموذجًا لأجيال المؤمنين التّالية. ولَسْنَا مُفَوَّضِينَ أن نبحث عن معجزات أو أن نجريها، لكنّنا مُفَوَّضُونَ لأن ندرس كلمة الله ونطيعها، تلك الكلمة القادرة أن تجعلنا حكماء ناضجين. كما أنّنا مُفَوَّضُون أن نحيا بالإيمان لا بالعيان (الرّسالة الإنجيليّة الثّانية إلى أهل كورنثوس 5 : 7).

يزعم بعض الكاريزماتيّين بأنه إذا سلّمنا بأنّ عصر الرّسل المعجزيّ انتهى، فإنّنا بذلك نعتنق مبدأً قاصرًا عن الله بأنّه قد فقد كلّ سلطانه. ويستنتج هؤلاء أنّ أيّ شخص ينكر استمرار عصر الرّسل المعجزيّ يكون إيمانه ناقصًا ويرضى بإله بعيد لم يعمل شيئًا على مدى 2000 عام.

لكن هل حقًّا لم يفعل الله شيئًا هامًّا في 2000 سنة؟ لا يمكن أن يكون الحال هكذا. كلّ ما هو حولنا يُرِينا دلائل على عمل نعمة الله العجيب في تغيير حياة الملايين حول العالم الّذين وضعوا ثقتهم في المسيح، وفي الاستجابات اليوميّة لأدعيتهم، وفي سدّ احتياجات النّاس، وفي تكيّف جماعة الإيمان الّتي صمدت ولا تزال ضدّ الاضطهادات القاسية والكثير من الهجمات الدّاخليّة على مدى قرون.
إلّا أنّ الله لم يضع مُتَحَدِّثِينَ رَسْمِيِّينَ لهم قوّات مُعْجِزِيَّة ضمن جماعة الإيمان اليوم أمثال أولئك الّذين نراهم على شاشات التّلفاز أو على المواقع الإلكترونيّة.

لا يمكن أبداً لله أن يصادق على تعاليم مُضِلَّة ويعطي قوّة معجزيّة لمعلّمين كذبة! لذلك، فإنّ كلّ حركة، في أيّامنا هذه، تسلّط الضّوء على المعجزات كأمر مركزيّ، فإنّها مُلَطَّخَةٌ بتعاليم زائفة مُشَوَّشَة وغير ثابتة.